**المحاضرة 09: النقد عن طه حسين ج02 ؛اختيار الشاعر للفظ الحسن والموضع المناسب له**

يرى طه حسين أنه يتعين على الشاعر أن يتخير اللفظ الحسن، ويضعه في الموضع المناسب، أما قول المعري:

كأن ثناياه أوانس يبتغى لها حسن ذكر بالصيانة والسجن

فقد نقده طه حسين بأن الشاعر جمع بين الصيانة و السجن في وصف الثنايا، وهذامما لا يستحسن، لأن إحدى الكلمتين تشعر بالكرامة والأخرى تشعر بالمذلة. وهذا نقد لغوي كما ترى، وربما دعا إليه التنبيه إلى تخير الألفاظ وانتقائها، وإن كنا نجد طه حسين يلجأ إلى مثل هذا النقد الفقهي كثيرا. فتارة هذا اللفظ قلق في موضعه، وتارة قد وضع الشاعر أم بإزاء هل، حين قال يصف وقار أبيه يوم القيامة:

وهل يرد الحوض الروي مبادرا مع الناس أم يخشى الزحام فيستأنى

إلى غير ذلك من ضروب هذا النوع من النقد.

(5) ولا تعجب طه سين المبالغة التي تنتهي إلى الإحالة كالإحالة في قول المعري:

يذيب الرعب من كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

(6) ثم إنا نجده يقف كثيرا عند المحسنات البديعية المختلفة من جناس وطباق وغيرهما، يستحسنها مرة، ويستقبحها أخرى. فما أعجبه ما جاء من جناس في قول المعري:

"يظللهم ما ظل ينبته الخط".

(7) وهو يستحسن أن يتفادى الشاعر صوغ الصور المألوفة، لأن ذلك يبعدها عن الروعة، شانها شأن الألفاظ المبتذلة. ومثال هذه الصور المألوفة ما في قول المعري في فجيعته بموت أبيه:

أبي حكمت فيه الليالي ولم تزل رماح المنايا قادرات على الطعن

(8) ثم إن الشاعر الأعمى كالمعري إذا وصف في صوره الشعرية الماديات التي تحتاج إلى الإبصار، فهو ليس بشاعر، ولكنه نظام، وعيال على غيره، لأنه لا يحس هذاه الماديات إحساسا يؤثر على مشاعره وعواطفه، حتى يستطيع صوغ هذا الأثر شعورا صادقا. أما إدراكه لها عن طريق السمع أو الدراسة أو الأساطير أو نحو ذلك، فهذا إدراك لا يحقق هذا الأثر الذي يصاغ شعرا. وهو إن اعتمد على الخيال المحض في وصف مثل هذه الماديات، فإنه لا يأمن العثرة، ولا يطمئن إلى شطط الخيال. ولكن مثل هذا الشاعر قد يجيد وصف المعنويات كاللذة والألم والخوف، فقد أجاد المعري وأحسن التشبيه حين شبه ما انتابه من أرق وسهاد بهرب الأمن عن قلب الجبان في قوله:

هرب النوم عن جفوني فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان

هذا ما ارتآه طه حسين، وقد استدل على ذلك بما جاء من وصف في نونية المعري التي منها هذا البيت، ومطلعها:

عللاني فإن بيض الأماني فنيت والظلام ليس بفاني

وطه حسين يرى أن هذا المطلع مثال لشعر المعري الذي حاول فيه وصف المبصرات، وأنه هنا نظام ليس بشاعر. ولكنا نقول إن بعض الشعراء كبشار –وهو أعمى- يجيد وصف المبصرات إجادة ليس فيها تكلف أو شطط، إذ قد عرف أوصاف هذه المرثيات عن طريق ما، كما في قوله المشهور:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ثم استطاع بخياله المبدع المعتمد على قوة قلبه أن يؤلف من هذه الجزئيات تلك الصورة الرائعة التي توشك أن تراها بعينك. فعلمه بصفة مثار النقع، وصفة الأسياف والليل والكواكب، إنما هو علم مشروع لا يعتبر آخذه عيالا على غيره، ثم يأتي بعد ذلك عمل الشاعرية في تأليف هذه الصورة البديعة التي ألفها بشار مستعينا بخياله الخالق. أما من ناحية صدقه في التعبير عما وصفه، فصورته الشعرية هذه لا تدل على أنه كان متكلفا فيها، بل تدل على أنه صادق أجل الصدق، فكثيرا ما يسمع الإنسان وصف شيء فيتأثر به، ويملك عليه نفسه ومشاعره، فيكون صادقا إن عبر عن هذا الأثر في نفسه، لاسيما إن كان قوي الخيال، مرهف الحس. ويمكننا الآن أن نقول عن وصف المعري للمبصرات مثل قولنا هذا عن وصف بشار لها.

وأي غرابة في أن يدرك المعري من الناس جمال اللون الأبيض، يغم أنه هو لا يعقل من الألوان إلا الحمرة، ثم إن تحدث عن أمانيه وصفها بأنها بيضاء، وإن تحدث عن يأسه من بلوغ هذه الأماني، كنى عنه وعن انقطاع أمله ببقاء الظلام الحالك، وقد عرف لونه من الناس أيضا؟ فأنت ترى أنه يعرف الجزئيات من غيره، والجزئيات لا تدل على أكثر من معاني مفرداتها، وهي فوق ذلك علم مباح، ولكن هذه الصورة الشعرية...ألا ترى أن أي مبصر لا يسهل عليه الإتيان بمثلها؟ ومن الذي صور يأسه بمثل ما صوره المعري في قوله:

عللاني فإن بيض الأماني فنيت، والظلام ليس بفاني؟

(9) وفي حديث طه حسين عن الشعر أيضا، نجد تلميحا برأيه في التحرر من بعض قيود القافية، وهو إن لم يصرح بدعوته لذلك، لكننا نحس هذه الدعوة في قوله: « والعجيب أن الشعر العربي وحده، هو الذي يختص بالتزام قافية واحدة في القصيدة، وإن طالت فانظر كيف جاء كثير فأراد أن يضاعف هذه المشقة ويزيد عبثها ثقلا». وهو يشير بذلك إلى ان كثيرا هو الذي اخترع التزام القافية على حرفين حين قال تائيته:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

ثم تبعه المعري في لزومياته.

(10) كذلك لم يرق طه حسين من أغراض الشعر ما يلجأ إليه بعض الشعراء من فخر، وقال إنه مناقض للفلسفة والحكمة عند الشعراء الفلاسفة والحكماء كالمعري، لأنه لا يفخر بزينة الحياة شرا محتوما، ومن يرى أنه لا خير إلا في الفناء، كما أن الفخر يستلزم القدرة على الكذب والدفاع عنه، كما يستلزم إجلال النفس بما لا تستحق، والغض من عظائم الآخرين في سبيل ذلك، كما يستلزم شيئا من الصفاقة ليواجه غيره بكذبه، لسيما إن لم يكون له ما يفخر به.

)ج( -(1) أما من الناحية المنهجية لدراسة الأديب، فطه حسين يرى أن يدرس إنتاجه لتستنبط منه منازع حياته وألوانها المختلفة، كما استنبط هو من شعر المعري ذمه للدنيا، وسخطه في فلسفته على الوجود وما فيه، وشكه الواضح في شعره الفني الفلسفي. وكما استنبط تمثيل شعر المعري لأطوار حياته، واتصافه بالحياء، وملء حياته بالهموم والأحزان، وأن هذه الأحزان مع فلسفته الساخطة كانت من عوامل نبوغه. وكما استنبط أيضا أن شعره يدل على أن دراسته اللغوية كانت مثقفة محكمة معتمدة على كثرة الرواية والإحاطة بالكثير من أساليب اللغة، وأنه كان يأخذ نفسه بالشدة في ألفاظه ومعانيه وسيرته.

(2) كذلك يرى أن يستعان بالمنطق لدراسة ما يصدر عن الشاعر من قضايا الفلسفة إن كانت له، كما فعل هو حين رتب المقدمات مع نتائجها في دراسته للمعري.

(3) وأخيرا يرى أن يستعان بعلم النفس أيضا لدراسة روح الشاعر واتجاهاته النفسية وتعليل أدبه بصفة عامة.